

# مكارم الأخلاق

كتبها الشيخ : عبد الرزاق طاهر فارح

19 رجب 1436 هـ  
08 مايو 2015 م

## بسم الله الرحمن الرحيم

أحبتني في الله ، موضوع خطبتنا في هذا اليوم المبارك في فضائل الأخلاق وفي محاسن الأخلاق وفي مكارم الأخلاق . الله عزّ وجلّ أمرنا بها ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أمرنا بها . إذن نحن مُتَعَبِدُونَ بمكارم الأخلاق . بل ما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إلا ليُتمم مكارم الأخلاق . كما في الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح ، قال صلى الله عليه وسلم { **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** } ، وفي لفظ أحمد في المسند بسند حسن : { **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ** } . قال جلّ علاه : { **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** } 2: 62 . فالتزكية هي غاية من غايات بعثة النبوة ، وهي تزكية النفوس وتزكية الأخلاق .

أحبتني في الله ، هل نُريد أن يحبنا الله جلّ وعلا ؟ نعم ،، كلنا نريد هذه المنزلة . هي المنزلة التي يعمل لأجلها المؤمن الصادق . إسمع قول الحبيب صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني من حديث أسامة ابن شريك رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: { **أَحِبَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا** } . أنظروا إلى مكانة حُسن الخُلق . ترتقي إلى هذه المكانة وإلى هذه المنزلة . تُصبح محبوبا من الله جلّ وعلا بحسن خُلقك .

وكذلك بحُسن خُلقك يُحبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكون من أقرب الناس إليه مجلساً يوم القيامة . كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره بسند حسن من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه : { **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا** } . ليس بالغنى ، ولا بالمنسب ، ولا بالجاه ، ولا بالمنظر ، ولا بالشكل ، ولا بالزبي ، ولا بالكلام ، ولا بالبلاغة ، ولا بالفصاحة دون صدق النية وحُسن العمل وحُسن الخُلق . { **وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ** } الثرثارون أي الرجل الكثير الكلام بلا فائدة . الذي يتكلم في كل وقت وحين . قد يكون كلامه نميمة ، وقد يكون غيبة . والمرأة الثرثرة كذلك . هذا الثرثار وهذه الثرثرة من أبعد الناس عن قلب رسول الله وعن مجلسه في الآخرة يوم القيامة . **وَالْمُتَشَدِّقُونَ** أي الذين يتكلمون بملا أفواههم ، لا يرون إلا أنفسهم ، أو يتكلمون من باب التطاول ومن باب التعاضم ، ومن باب رأيهم أنفسهم أنهم أفصح وأبلغ وأفضل من غيرهم من المتحدثين والمتكلمين . أما المتفیهقون فهم المتكبرون . فقالوا يا رسول الله : علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما لامتفیهقون ، فقال { **الْمُتَكَبِّرُونَ** } .

أحبتني في الله ، أكمل المؤمنين إيماناً هو أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً . صاحب الخُلق هو الذي يُعامل زوجته معاملةً كريمة ، معاملةً طيبة . لا يلعنها ، ولا يسبها . والخُلق الكريم الحقيق هو حسن خُلق الرجل مع زوجته . وقد يتزيّن بكلمات جميلة ، وقد يتزيّن بأفعال جميلة

خارج البيت وبين أصحابه ورؤسائه ليحصل على مكانةً وسُمعةً في الدنيا . أما الصادقون الذين ينطلقون من داخل بيوتهم بمكارم الأخلاق . بل إعلموا عباد الله أنه لا يوجد يوم القيامة في الميزان شيء أثقل من حُسن الخُلق ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره بسند صحيح ، من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه { ما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حُسن الخلق } . وفي رواية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في مسند أبو داود بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: { إنَّ المؤمن يُدرك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم } . بل يُدرك المؤمن بحُسن خلقه أعلى درجات الجنَّة ، وأعلى منازل الجنَّة ، ففي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده والبيهقي والحاكم وغيرهم بسند حسن من حديث أمامة رضى الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أنا زعيم (يعني أنا ضامن) ببيت في رَبَطِ الجنَّة (أي في أدنى الجنَّة) لمن ترك المراء وإن كان محققاً (أي لمن ترك الجدال وإِ محققاً) وبييت في وسط الجنَّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبييت في أعلى الجنَّة لمن حَسُنَ خلقه } . الخُلق الجميل الرقيق يُنجي صاحبه من النَّار . يقول صلى الله عليه وسلم : { من كان سهلاً لِيناً حرَّمه الله عن النَّار } . والحديث صحيح . رجل سهل أي سمح إذا باع سمح ، وإذا إشتري سمح وإذا قضى سمح وإذا إقتضى ، سهل في تعامله مع الخلق . لا يعرف تعقيدات ، ولا يعرف الملل ، ولا يُهق إخوانه بالعتاب المُمل ، ولا يُسئ إلى إخوانه بالكلمات الفاحشة . وإنما سهل في تعامله . ربما يغضب ولكن سرعان ما يفيض إلى الرضى ، وإلى الكلمة المفضال . لِيناً ، تراه كريماً ، تراه متسامحاً ، لا ترى فيه عُنفاً ، لا تراه متشدداً . لا تراه متنتظماً (يطع النَّاس بالكلام) ، لا تراه متغالياً (مبالغاً) ، وإنما تراه لِيناً . لِيناً مع الكبير ، وتراه لِيناً مع الصغير . تراه لِيناً مع أهله ومع أولاده ومع إخوانه .

يحب ربِّنا جلَّ وعلا الأخلاق الكريمة والأخلاق النبيلة . إسمع لقول النَّبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وابن عدي وأبو نُعيم وابن عساكر من حديث حسين ابن علي رضى الله عنهما قال : { إن الله تعالى يُحب معالي الأمور وأشرفها ، ويكره سفاسفها } . الذي زكى نبينا صلى الله عليه وسلم بالأخلاق التي يُحبها ربنا جلَّ وعلا فقال: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } 4: 68 . قالت عائشة حينما سُئلت عن أخلاقه ، قالت : كان خلقه القرآن .

وأختم هذه الخطبة بهذا الحديث الجميل ، والحديث رواه أحمد في مسنده وابن حبان والبيهقي وغيرهم من حديث عبد الله ابن عمر ابن العاص ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهم جميعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : { أربيع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : صدق الحديث ، وحفظ الأمانة ، وحُسن الخُلق وعِفَّة المطعم } . وهذا الحديث يحتاج إلى جمعات كثيرة ، وأسأل الله جلَّ وعلا أن يرزقنا صدق الحديث ، وحفظ الأمانة ، وحُسن الخُلق وعِفَّة المطعم .